مطالعات

في الادب والحياة

حديث عن الشعر

قرأت في العدد ٤٧٢ من الهاتف مقالا عن [الشعر] للأديب غائب طعمه فرمان . وقد بدأ الكاتب مقاله بقوله [كانت محنتي في الادب فوق كل محنة ، ومصيبتي في الركون الى مقاييس ثابتة لتفهمه وادراك جماله تربو على مصائبي الباقيات واست تراني الا متأرجحاً بين مايقول الجاحظ والباقلاني والجرجاني وابن الاثير وما يقوله كتّاب العصر الحديث من غربيين وعرب] ثم قال انه قرأ كتاب المثل السائر [الكتاب الغليظ القلب الذي يلقى اوامر قاسيه] وعمل على تنفيذ تلك الأوامر [فحفظت من القرآن اكثر من عشرة اجزاء اسلمتني الى كلال العزيمة ، والزهد بالحفظ ، واضطراب الحافظة] ثم قرأ ديوان الحماسة وشرح التبريزي الذي وصفه بانه يشبه الملح الانجليزي ؛ وزعم بعد ذلك انه انتقل الى الأدب الغربي ليجد المعين الذي لا ينضب ؛ والأدب الذي يتفق ورغباته وعند ذاك [رايتني اقف على بناء سامق وامسك في يدي ميزانا جديداً في النقد ؛ ومقاييس عادلة في الحكم الأدبي] وكان من اثر ذلك الحكم العادل هذا الكلام المنمق كتبه الأديب وزعم فيه بان قراءة الشعر العربي [اشبه شيء بقراءة الجرائد اليومية ، لاتحمل الانسان الى الآفاق البعيده ؛ ولا الى التفكير ؛ ولا الى استيعاب عوالم جديده في دنيا الجمال والخيال] وهل الشعر العربي كما رآه الأديب الا (تفكير ساذج ونظرات طفل راقد في احضان البله والجهل ، نظر قصير يومض ومضات ذهنية تافهه يمقتها المناطقة والعلماء) ومنهم اديبنا الكبير .

ثم قال [ورايتني التمس الاسباب لهذا التأخر في شعرنا العربي ، وصرت اشفق على هذا الطفل المسكين المترع في حمأ الذهن الفاسد ؛ والمصفد باصفاد الصناعة اللفظيه ، والتزويق السخيفه] ثم [صار شعرنا اشبه ببعر الاغنام متساو في الشكل واللون وان كان مختلفاً في الحجم والكمية] .

وميدان الشعر العربي كما يراه الأديب هو « ميدان المديح البائخ ، والرثاء المتخنث ، والتهاني الصبيانية والوعظ والارشاد » اللهم الا زهرات قليلة تتفتح هنا وهناك في شعر المتنبي والشريف والكاظمي ؛ ومضات نادرة تظهر في بعض الاحيان ثم يدركها الفناء .

ولم يحدثنا الكاتب طويلا عن لون الشعر الذي يدعو اليه ، ولكنه قال في تضاعيف كلامه بانه يريد « الشعر السامق في سماء الابداع ، الحافل بصنوف الاكتشافات النفسيه ، الذي يدعونا الى ان نخلو ساعات بفكرنا وحواسنا « ١ » وكأنه يقصد الشعر الرمزي .

شهاده

وانا اشهد باني اعجبت باسلوب الكاتب ، وعجبت من كلامه ، ولا اريد ان ابخسه حقه فازعم بان القراء لم يستفيدوا شيئاً ، بلى ، فقد قرأوا هذا الثبت الطويل من الكلمات التي اختارها الكاتب عن البله والجهل وبعر الاغنام والسذاجه والنظر القصير والمديح البائخ والرثاء المتخنث والتهاني الصبيانيه والتزاويق السخيفه ، هي كلمات اختارها الكاتب ليعبر بها عن حالة الشعر العربي .

ونحن نعجب لهذه الاحكام الارتجالية التي يصدرها بعض الكتاب وكأنها تغير مجرى الادب في نظرهم ، ونأسف لأن بعض الشباب المثقف يرمون ادبنا بكل نقيصة حباً في الشهرة والظهور .

ولا نريد ان نزعم بأن الادب العربي يخلو من الهفوات بل ان الشعر القديم قد اثقلته الصنعة حتى حجبت اكثر جماله وان الشعر العباسي قد طغى عليه سيل من زخرفات البديع ولكننا لانريد ان نبخسه حقه فنزعم بانه خال من الشعور الانساني والالفتات الذهنيه البعيده والعواطف الصادقة التي تعبر كما تحس .

« ١ » ماوضع بين قوسين نقلناه من مقال الأديب .

والمديح والرثاء والصناعات اللفظيه لون من الوان الادب كان لها موسم واقبال، وهي لون من الوان الادب ، واذا أردنا ان نسقطها من حساب الشعر العربي فستبقى لنا ثروات كثيرة اخرى ، تختلف في القيمة والجودة . ولو أعاد الكاتب النظر وتعلم مواطن الجمال والسمو في الشعر العربي لرأى غير هذا الرأي الذي عبر عنه . وماذنب الشعر العربي اذا كان الكاتب قليل الصبر ضعيف الاراده حتى ان قراءته للقرآن الكريم وهو المثل الاعلى في البلاغة والسمو — قد اسلمته الى كلال العزيمه ؟ ايستطيع مثل هذا ان يدرس الادب العربي ويحكم له او عليه ؟

اقرا الشعر القديم لتعرف مواطن الجمال . واقرأ شعر الجواهري لترى كيف تتفتح العبقريه فتبدع ؛ وترى روعة الاسلوب ؛ وسلامة الذوق ، وسعة الأفق .

واقرأ للدكتور ابراهيم ناجي لترى طرافة الفكره، وبراعة التصوير ، ودقة الوصف ، والحديث عن النفس الانسانية ، واللمحات الذهنيه الرائعه .

واقرأ لعلي الجارم لينقلك بفخامة اسلوبه وديباجته الرائعة الى الجو الذي تنفس فيه البحتري اقرأ لأبوليا وللجبوبي ولغيرهم لتستطيع الحكم ، وترى مواطن الجمال .

ان الشعر العربي القديم والحديث غني بكل لون من الوان الأدب الذي تبحث عنه ، ولكن الكشف عن مواطنها يحتاج الى ذوق خبير .

ليست بليتنا في نقص الشعور الأنساني ، ولكنها تنحصر في هذه الطائفه من شبابنا الذين قرأوا شيئاً من الأدب الغربي وارادوا التقليد ، فأضاعوا الأدبين ، وغمرونا بهذا الأدب الذي تمجه الاذواق ، فلا هو بعربي اصيل ، ولا هو بأجنبي مستعرب ، وانما هو مزيج من هنا وهناك ، تنكره الاذواق والاسماع ، كالقيط الذي لاينسب لشخص معين .

الشعر الرمزي

والرمزية في الأدب هي الايحاء والخفاء . ويزعمون ان الشعر الرمزي يثير في الفكر والشعور احساسات لا يثيرها الشعر العادي، وانه يحمل الانسان الى آفاق بعيدة من التفكير

وقد اقتبس هذا النوع بعض الادباء في الشرق العربي وروجوا له ، ونظموا على طريقته ، غير ان اكثر نظمهم كان من عبث الاطفال ونفاية القول، لايثير في النفس الا السخريه ولا يبعث الا القلق والاضطراب والغموض .

وسأنقل لك الآن مقطوعة من الشعر الرمزي عن مجلة الفكر الحديث البغدادية [ع ٨ ، ٩ م ٢] لترى صدق ماأقول . وهي

صبوة الليل الى ضم الصباح ... في مدى حلم طيوري
وجنة الزنبق غمس في الجراح ... قدمي يرفض نور
وتلاشى برعم في بواح ملهب
فبدا في الشهب في بقاياه فم
واختلاج الأمن في في الجراح ... بعض ماهز الصدور
فطفا رفق على بأس الرياح ... من احاديث الصخور

***

عهدي الابيض من عيد الزمان ... كوة الدنيا جمال
حلوتي ومض على دمع الحسان ... وتمن لا يقال
وصلها ظن غدا في خفوق المرشف
يا ازاهير اعرفي منه ماقال الندى
كبرياء اللون في رحب الجنان ... بعدها ميس الدلال
فتها شوقي على وهج الحنان ... ما تشهاه الوصال

فهل فهمت شيئاً مما اراده الشاعر ، وهل عمل الشاعر الا على رصف كلمات متناثره متنافره، وهل اثار في ذهنك الا السخريه والاستغراب ؟

فهل يستطيع ناقدنا الفاضل الذي يريد ان يجدد الادب العربي ان يزعم بان هذا الشعر يحمل الانسان الى افاق بعيده او يثير فيها شيئاً من الاحساس الرفيع ؟

جواب الجارم

اية مصادفة جعلتني اقرأ مقال الاديب وافكر فيه وازد عليه ، ثم رمت بين يدي العدد الاخير من مجلة الكتاب المصريه وهو عدد اكتوبر ١٩٤٧ لارى فيه قصيدة للاستاذ على الجارم عن الشاعرين شوقي وحافظ وقد تحدث فيها عن هذا الادب المشوه الذي تحدثنا عنه، ورأيت ان اختتم بها مقال هذا العدد: